

**الفصل الرابع**  
**خطباء الفرق والمذاهب الدينية**

obeikandi.com

## المبحث الأول

### نموذج لخطب اشهر خطباء الفرق والمذاهب الدينية

#### أبو حمزة الشاري (1)

##### نموذج من خطبه

كانت المدينة منبراً لخطب قوية رائعة لابي حمزة الشاري الاباضي يقرع فيها اهلهما على تقصيرهم عن النهوض لنصرة الحق، مع علمهم به، ويحرضهم على بني امية وآل مروان ويذكر مساوئهم ويذم الشيعة في تعصبهم لحزب لزموه، وادعائهم مالا يعلمون ويذكر اصحابه، وجميل خصالهم، وجميل اعمالهم، ويحسن الدفاع عنهم ونجتزي من هذه الخطب كنموذج بقدر يسير، يدل على اتجاهاتها، ومدى مساهمتها للتيارات السياسية وتوفيقيها في تسجيلها في هذا العصر حيث دخل ابو حمزة المدينة سنة ١٣٠هـ فرقى المنبر، فحمد الله، واثى عليه، ثم قال: (يا أهل المدينة. سألناكم عن ولايتكم هؤلاء فأسأتم -عمر الله- فيهم القول، قلتم: والله فيهم الذي يعلم، اخذوا المال من غير حله، فوضعوه في غير حقه، وجاروا في الحكم، فحكموا بغير ما انزل الله، واستأثروا بفيننا فجعلوه دولة بين الاغنياء منهم، وجعلوا مقاسمنا وحقوقنا في مهور النساء، وفروج الاماء، فقلنا لكم: تعالوا نحن وانتم إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم، وجاروا في الحكم، فحكموا بغير ما انزل الله، نناشدهم الله ان يتحوا عنا وعنكم ليختار المسلمون لانفسهم، فقلتم: لا يفعلون، فقلنا لكم: تعالوا نحن وانتم نقاتلهم فان تظهر نحن وانتم، نأت بمن يقيم فينا وفيكم كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله

---

(1) ابو حمزة الشاري : هو ابو حمزة المختار بن عوف بن مالك الازدي السلمي البصري ، ثائر فتاك من الخطباء القادة من بني سليمة بن مالك ولد بالبصرة واخذ بمذهب الاباضية وكان يدعو الى الخروج على مروان بن محمد استولى على مكة والمدينة قتل سنة ١٣٠هـ / ٧٤٨م في مكة من قبل عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي ، ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٤٦ ، المسعودي ، مروج الذهب ج ٥ ص ٢٦٠ ، ابن تغري يردى ، النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣١١ يذكر انه قتل يوم واقعة قديد.

عليه وسلم، فقلتم: لا نقوى على ذلك، فقلنا لكم: فخلوا بيننا وبينهم، فإن نظفر نعدل في احكامهم، ونحملكم على سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ونقسم فيأكم بينكم فأبيتم، وقاتلمونا دونهم، فقاتلناكم، فأبعدكم الله واسحقكم<sup>(١)</sup>

وخطب بالمدينة فقال: (يا أهل المدينة مررت بكم في زمن الاحول هشام<sup>(٢)</sup> بن عبد الملك وقد اصابتكم عاهة بثماركم، وكتبتم اليه تسألونه ان يضع خراجكم عنكم فكتب اليكم بوضعه عن قوم من ذوي اليسار منكم، فزاد الغني غنى، وزاد الفقير فقراً، فقلتم جزاك الله خيراً، ولا جزاه خيراً)<sup>(٣)</sup>.

**تحليل الخطبة :** الخطبة جارية في موضوعها واتجاهها على ما عرف في هذه الحقبة من الخطب الدينية الوعظية، والسياسية، وبلاغه أبي حمزة الخارجي في خطبته في المدينة واقتداره على الخطابة والارتجال والقدرة في التصرف في الكلام وكان لهم باع طويل في الخطابة ولخطابته طابع من القوة والبلاغة والتدفق يميزها من غيرها وكانت اكثر خطبة في اهل المدينة<sup>(٤)</sup> يذمهم ويقرعهم على انقيادهم لحكامهم، فهو بعد ان سأل أهل المدينة عن احوالهم الاجتماعية مع من كان يحكمهم وانما هم مذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء لا يقولون الحقيقة ولم يعطوا المصادقية في كلامهم، وهم

(١) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٩ ص ١٠٧ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج ٢ ص ١٦٢ ، ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ج ٢٠ ص ١٠٣ .

(٢) هشام بن عبد الملك : هو هشام بن عبد الملك بن مروان من خلفاء الدولة الاموية في الشام ، ولد في دمشق سنة ٧١هـ وبويع بالخلافة سنة ١٠٥هـ . وخرج عليه زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم اجمعين سنة ١٢٠هـ فقتله واحرقه وبنى الرصافة على اربعة فراسخ من الرقة غربا ، توفي سنة ١٢٥هـ / ٧٤٣م . ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٨٣ ، ابن الاثير، الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٩٦ .

(٣) ينظر: الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ١٠٨ ، ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ، ج ٢ ص ١٠٣ .

(٤) ينظر: المبرد، الكامل في اللغة والادب، ج ٢، ص ٢٣١، الدكتور محمد طاهر دروش، الخطابة في صدر الاسلام، ج ١، ص ٤٠٨ - ٤١٠ .

غير صادقين في قولهم وفي حقيقة القول وصوروا لابي حمزة بعد سؤاله عن احوالهم مع هؤلاء الحكام والولاة بأنهم اخذوا اموالهم من فيء وخراج وتصرفوا، فيه فجعلوا الغني يزداد غنى والفقير يزداد فقرا ثم يصور في خطبته بأن هؤلاء الحكام لم يحكموا بما انزل الله ثم يقرر ويطلب من الحكام أن يجعلوا المسلمين يحققون مبدأ الاختيار لمن يريدون من خليفة ووالي فهو يتظاهر بأن مبدأ الاختيار هو الذي يجب ان يسود في الحكم وان الحكم يبني على هذا الاساس. ثم في خطبته يقرر مبدأ القتال لهؤلاء الحكام الذين ابتعدوا عن حكم الله وسنة رسوله وجعلوا الاموال دولة بين الاغنياء، ثم يرد عليهم ويقرهم في قولهم بالخليفة هشام بن عبد الملك آنذاك بكلمة جزاه الله خيراً فيقول لقد قلت هذا على غير وجه الحقيقة والصدق فهو لا يستحق هذا الثناء والحمد والجزاء والاجزاء له من الله خيراً.

### واصل بن عطاء

#### نموذج من خطبه

اجتمع خالد بن صفوان وشبيب بن شيببة والفضل بن عيسى الرقاشي<sup>(١)</sup>، وواصل بن عطاء عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي العراق في حفل غاص بوجوده القوم فخطبوا على هذا الترتيب وهم من اشهر خطباء العرب وانبههم شأنًا، واعلاهم في مجال القول كعباً فلما انتهى القول قام واصل بن عطاء فقال (الحمد لله القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية، الذي علا في دنوه، ودنا في علوه، فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان، ولا ينوده<sup>(٢)</sup> حفظ ما خلق، ولم يخلقه على مثال سبق، بل انشأه ابتداءً، وعدله اصطناعاً فأحسن كل شيء خلقه، وتمم مشيئته، واوضح حكمته، فدل

(١) الفضل بن عيسى الرقاشي : هو الفضل بن عيسى بن ابان الرقاشي ، واعظ من اهل البصرة كان من اخطب الناس وهو رئيس طائفة من المعتزلة وكان قديراً سجاعاً في قصصه ، توفي سنة ١٤٠هـ. ينظر: الجاحظ ، البيان والتبيين ج ١ ص ٢٩٠. ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب، ج ٨ ص ٢٨٣.

(٢) ينوده بمعنى يتقل عليه . ينظر: أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ص ١٠.

على الوهيته ، فسبحانه لا معقَّب (١) لحكمه، ولا دافع لقضائه تواضع كل شيء لعظمته، وذل كل شيء لسلطانه ، ووسع كل شيء فضله، ولا يعزَّب عنه متقال حبه وهو السميع العليم.. اوصيكم عباد الله مع نفسي بتقوى الله والعمل بطاعته، والمجانبة لمعصيته، واحضكم على ما يدينكم منه ويؤلفكم لديه، فإن تقوى الله افضل زاد واحسن عاقبة في معاد، ولا تلهيكم الحياة الدنيا بزينتها وفوائن لذاتها، وشهوات امالي فأنها متاع قليل، ومدة الى حين، وأهلكت من جنح اليها، واعتمد عليها ، واذاقتهم حلو ، ومزجت لهم سما، أين الملوك الذين بنوا المدائن، وشيدوا المصانع، وابتغوا الابواب، وكاتفوا الحجاب واعدوا الجياد، وملكوا البلاد، واستخدموا السلال قبضت بمحملها (٢) وطحنتم بكلالها (٣)، وعضتكم بأنيابها، وعاصتكم من السعة ضيقاً، ومز العزة ذلاً، ومن الحياة فناء (٤).

### نقد وتحليلها الخطبة

كان واصل بن عطاء آية في البلاغة والقدرة على التصرف في الكلام والفرار مما يعيب منطقته واطراح ما يشوب بيانه، وكان قبيح اللثة شنيعاً فما زال يروض نفسه على التخلص من الرأء في كلامه حتى استقام له ذلك، واستراح من هجنته فكان (٥) يخطب الخطب الطوال خالية من الرأء، محتفظة مع ذلك بحسنها وبلاغتها دون ان يلحظ فيها صنعة او تفاوت وضعف. وفي هذا يقول الجاحظ (ولما علم واصل بن عطاء انه اللثغ، فاحش اللثغ، وان مخرج ذلك منه شنيع، وانه اذ كان داعياً مقالة، ورئيس نحلة، وانه يريد الاحتجاج على ارباب النحل، وزعماء الملل وانه لا يد

(١) لا معقَّب لحكمه : أي لا راد له . م، ن ، ص ٤٤٤.

(٢) قبضتكم بمحملها : أي اخذتكم واحتوت عليهم بما تحمل فيه . ينظر: ابو بكر الرازي ،مختار الصحاح ، ص ١٥٤.

(٣) الكلكل بمعنى الصدر . ينظر: م . ن ، ص ٥٧٧.

(٤) ينظر: الجاحظ ، البيان والتبيين ج ١ ص ٣٤ .

(٥) ينظر: القيرواني، زهر الاداب، ج ٣، ص ٣٤٧. الدكتور محمد طاهر دروش، الخطابة في صدر الاسلام، ج ٢، ص ص ٤١١-٤١٢.

من مقارعة الأبطال ومن الخطب الطوال، وان البيان يحتاج الى تمييز وسياسة والى ترتيب ورياضة، والى اتمام الآلة، واحكام الصنعة، والى سهولة المخرج، وجهارة المنطق وتكميل الحروف، واقامة الوزن، وان حاجة المنطق الى الطلاوة والحلاوة كحاجته الى الجلالة والفخامة، وان ذلك من اكبر ما تستمال به القلوب، وتنتهي اليه الاعناق، وتزين به المعاني. وعلم واصل انه ليس معه ما ينوب عن البيان التام واللسان المتمكن والقوة المتصرفة، كنحو ما اعطى الله نبيه موسى عليه السلام من التوفيق والتسديد مع لباس التقوى وطابع النبوة. واذا فقد كان واصل من قوة المعارضة، ومن ذلاقة اللسان ومن استفاضة البيان، بحيث يرتجل الخطب الطوال، ويقاوم الخصماء، ويقارع الكفاء، ويناقل النظراء، وقد اسقط من كل ذلك حرف الراء، على شيوعها في الكلام وجريانها اكثر من سواها على اللسان وفي هذه الخطبة استخدم الجمل القصيرة المسجوعة المترادفة وفيها الازدواج مع قرب المعاني، وسهولة الالفاظ وأبرز مظاهر هذا الاسلوب أي اسلوب الوعظ هو التكرار المعنوي والترادف الموسيقي الذي يشعر السامع بلون من الارتياح لذلك الايقاع الجميل، والتتغيم الصوتي يزيده السجع وضوحا وتأثيرا، ولعل هذه السهولة ما يسر لوصل بن عطاء غايته من اختيار الفاظ خالية من حلف الراء، وذلك له سبيل الارتجال في هذا المقام فإذا اتجه للاخذ من القرآن، لجأ الى معنى الآية دون لفظها في نسق قريب من نسقها من ذلك قوله: ((سبحانه لا معقب لحكمه، ولا دافع لقضائه)) بدل القول المؤلف (ولا راد لقضائه) وقوله (لا يغرب عنه مثقال حبة) وكان قوله (لا يعزب عنه مثقال ذرة)<sup>(١)</sup> وقوله (واشهد ان لا اله الا الله وحده لا مثيل له) موضع قوله (لا شريك له) وهو يقول (فليحميه زمان ، ولا يحيط به مكان) في معنى قوله تعالى ﴿وسع كرسيه<sup>(٢)</sup> السموات والارض﴾ وهذا النوع من القدرة على التصرف في القول بداهة، مصاحبا لهذا القدر من التوفيق والاحسان لا يواتي كل خطيب وقائل، وانما هو وقف على القالة المهرة الافذاذ الذين ملكوا نواحي البيان، ودان لهم عصي القول واصابوا من الثقة بنفوسهم، والتمكن من لغتهم حدا لا يخشون

(١) سورة سبأ من الآية رقم (٣).

(٢) سورة البقرة من الآية رقم (٢٥٥).

معه عجزاً، ولا يداخلهم ازاءه شك ولا بلبلة وهذا واضح من خلال خطبة واصل بن عطاء الذي اختار الفاظ بذاتها لمعانيه، فواتته طيبة وجاءت جميلة طبيعية لا توحى بافتعال او اكراه صنعة ولا يكون ذلك الامع قوة العارضة واصالة الملكة وحضور البديهة واتساع الاحاطة باللغة ومفرداتها، والبصر بمواقع القول، ومن سمعها او قرأها خالي الذهن مما التزمه فيها قائلها، لا يشعر بما التزم فيها، ولا يدرك انها نهجت نهجا غير ما نألف ، وقد افاد واصل من خبرته اللغوية المتفوقة وقدرته على الارتجال وصوته الجمهوري المؤثر لدى السامعين فخطبته هذه اسهل لفظاً واقرب معنى.

### قطري بن الفجاءة<sup>(١)</sup> نموذج من خطبه

حَمِدَ اللهُ وَاتَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

أَمَّا بَعْدُ، احذركم الدنيا، فإنها حلوةٌ خضيرةٌ حُتَّتْ بالشهواتِ وراقَتِ بالقليل<sup>(٢)</sup>، وتُحِبُّبِ<sup>(٣)</sup> بالعاجلةِ وَحَلِيَّتْ بِالْأَمَالِ وتزِينَّتْ بِالْغُرُورِ، لا تدوم حيرتها<sup>(٤)</sup> ولا تُؤْمِنُ فجعَّتْها. غَرَارَةٌ ضَرَّارَةٌ، خَوَانَةٌ غَدَارَةٌ وَحَائِلَةٌ<sup>(٥)</sup> زائِلَةٌ، ونافذةٌ بائدةٌ آكالةٌ غوالةٌ لا تعدو اذا هي تناهتْ الى أُمْنِيَةِ أَهْلِ الرَغْبَةِ والرُضَا عنها ان تكون كما قال الله تعالى: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيْحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا﴾<sup>(٦)</sup> مع أن امرءاً لم يكن منها في حبرة الا اعقبته

(١) قطري: منسوب الى قطر قرب عمان ، وهذا كما يسمى الرجل مكيا وحجازيا ولم يولد بمكة وبالحجاز، والفجاءة من قولهم فجأة الامر بفجوه فجأة وفجاءة ، ينظر: الجاحظ ، البيان والتبيين ج ٣ ص ٢٦٤ ، أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ج ١ ص ٣٤٠.

(٢) وراقَت بالقليل أي حسنت في العين على قلة متاعها . ينظر: م . ن ، ص ٢٥٣.

(٣) أي تحببت الى النفوس بكونها عاجلة ، وليست آجلة كالاخرى . ينظر: م . ن ، ص ١١٩.

(٤) حيرتها بمعنى نعمتها . ينظر: م . ن ، ص ١٢٠.

(٥) حائلة أي بمعنى متحولة متغيرة . ينظر: م . ن ، ص ١٦٣.

(٦) سورة يونس من الآية رقم (٢٤) .

بعدها عبرة ، ولم يلق من سرائها بطنا إلا منحتة من ضرائها ظهرا، ولم تطله فيها  
 غيئة رفاء الا هطلت عليه مزنة بلاء<sup>(١)</sup> وحرّي اذا اصبحت له منتصرة ان تمنى له  
 خاذلة متكررة، وان جانب منها اعذوب واحلولى<sup>(٢)</sup> امر عليها جانب وادبي، وان آتت  
 امرء من غضارتها<sup>(٣)</sup> ورفاهتها نعيما ارهفته من نوائبها نقما ولم يمس امرؤ منها  
 في جناح أمن الا اصبح منها على قوادم<sup>(٤)</sup> خوف غرارة غروز ما فيها، فأن ما عليها  
 لا خير في شيء من زادها الا التقوى) ثم قال: الستم في مساكن من كان اطول منكم  
 اعمارا، واوضح منكم آثارا، واعد عيدا، واكثف جنودا واعتد عتادا<sup>(٥)</sup>، واطول  
 عمادا، تعبدوا للدنيا أي تعبد، وآثروها أي ايثارا وظعنوا عنها بالكره والصغار<sup>(٦)</sup>،  
 فهل بلغكم ان الدنيا سمحت لهم نفسا بقدية، او غفت عنهم فيما قد اهلكهم بخطب؟ بل  
 قد ارهقتهم بالفوادح<sup>(٧)</sup> وضعفتهم بالنوائب وعقرتهم بالمصائب<sup>(٨)</sup> وقد رأيتم تكررهما  
 لمن دان لها، واخذ اليها حين ظعنوا عنها لفراق الابد، إلى آخر المسند<sup>(٩)</sup> هل  
 زودتهم إلا السغب<sup>(١٠)</sup>، وأحلتهم إلا الضنك، أو نورت لهم إلا الظلمة أو اعقبتهم إلى  
 الندامة ، افهذه تؤثرون، ام على هذه تحرصون، اما اليها تطمئنون يقول الله جل  
 ذكره لمن كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا  
 يبخسون، اولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار، وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما

(١) مزنة بلاء أي بمعنى السحابة الممطرة . ينظر: أبو بكر الرازي، مختار الصحاح ، ص ٦٢٣.

(٢) اعذوب واحلولى : بمعنى عذب وحلى . ينظر: م . ن ، ص ١٤٨ و ٤٢٠.

(٣) غضارتها بمعنى نعمها لان الغضارة بمعنى النعمة وخصب العيش . ينظر: م . ن ، ص ١٧٧.

(٤) القوادم : الريش الكبار في مقدمة الجناح . ينظر: م . ن ، ص ٥٢٥.

(٥) واعتد عتادا أي بمعنى احضر عدة . ينظر: م . ن ، ص ٤١٥.

(٦) الصغار بمعنى الذل . ينظر: م . ن ، ص ٣٦٤.

(٧) الفوادح ، أي النوائب الثقيلة . ينظر: م . ن ، ص ٤٩٣.

(٨) عقرتهم بالمصائب : أي عضتهم . ينظر: م . ن ، ص ٤٤٥.

(٩) المسند أي بمعنى الدهر . ينظر: م . ن ، ص ٣١٧.

(١٠) السغب بمعنى الجوع . ينظر: م . ن ، ص ٣٠٠.

كانوا يعملون»<sup>(١)</sup> فبئست الدار لمن لم يتهمها، ولم يكن فيها على وجل منها ، فأعملوا وانتم تعملون - انكم تاركوها لابد، فأنما هي كما وصفها الله باللعب واللهو، وقد قال الله تعالى «أتبنون بكل ريع»<sup>(٢)</sup> آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون، وإذا ابطستم بطستم جبارين»<sup>(٣)</sup> واتعظوا فيها بالذين قالوا (من اشد منا قوة؟) حملوا إلى قبورهم، فلا يدعون ركبانا، وانزلوا الاجداث»<sup>(٤)</sup> فلا يدعون ضيفانا، وجعل لهم من الضريح أكفانا»<sup>(٥)</sup> ومن التراب أكفانا، ومن الرفان»<sup>(٦)</sup> جيرانا، فهم جيرة لا يجيبون داعيا ولا يمنعون ضيما، ولا يباليون مندبة»<sup>(٧)</sup> إن أخصبوا لم يفرحوا، وان قحطوا لم يقتطوا جمع وهم آحاد، وجيرة وهم ابعاد، متعاون لا يزورون ولا يزارون، حلما قد ذهبت اضغانهم وجهلاء»<sup>(٨)</sup> قد ماتت احقادهم، لا يخشى فجعهم ولا يرحى دفعهم وكما قال الله تعالى»<sup>(٩)</sup> «فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليل، وكنا نحن الوارثين»<sup>(١٠)</sup>.

### دراسة ونقد وتحليل

قطري بن الفجاءة تميمي مازني من زعماء الخوارج وابطالهم يعد في عصره

(١) سورة هود آية رقم (١٥) .

(٢) الريع بمعنى ما ارتفع من الارض ، أي ترفعون الابنية والدور تتناولون على غيركم وتعبثون بها . ينظر: أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٦٦ .

(٣) سورة الشعراء ، الايات رقم ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠ .

(٤) الاجداث : جمع جذت وهي القبور . ينظر: م . ن ، ص ٩٤ .

(٥) الاكفان : جمع كن وهو وقاء كل شيء وستره . ينظر: م . ن ، ص ٥٨٠ .

(٦) الرفات : أي العظام البالية . ينظر: م . ن ، ص ٢٤٩ .

(٧) المندبة : بمعنى الندب والبكاء . ينظر: م . ن ، ص ٦٥١ .

(٨) الجهلاء من الجهل وهو السفاهة والحق .

(٩) سورة القصص من الآيات رقم (٥٨) .

(١٠) الجاحظ ، البيان والتبيين ج ٢ ص ١٠٤ ، ابن قتيبة ، عيون الاخبار ج ٢ ص ٢٥٠ ، ابن عبد ربه ، العقد الفرید ج ٢ ص ١٦٠ ، القلقشندي، مصحح الاعشى ج ١ ص ٢٢٣ . ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ١٢٢ ،

من اخطب خطباء العرب، واخطب الخوارج على تميّز نفر كبير منهم باللسن وقوة البيان ، إلا أنّ خطبه<sup>(١)</sup> لم يدون منها الا القليل لسوء مذهبه بين مذاهب الخوارج ولان اكثر ما قال كان على البديهة والارتجال وهو الى طول باعه في الخطابة يعدّ من فحول الشعراء، وما اثر من شعره وهو قطع واييات متفرقة في كتب الادب ينم على شاعرية مطبوعة ومملكة راسخة في الفصاحة والبيان، وما اختاره ديوان الحماسة من شعره يسلكه في الطبقة الاولى من شعرائها فمن ذلك قطعه التي اولها اقول لها وقد طارت شعاعاً

من الابطالِ ويحك لا تراعي<sup>(٢)</sup>

والتي اولها

لا يركنن احدٌ الى الاحجام

يوم الوغى متخوفاً لحمام

وكلاهما طراز عالٍ في هذا الضرب من شعراء الحماسة، وشعره ونثره المتمثل في خطبه، ميزان واحد في سمو التعبير وفخامته ورصانة اللفظ وجزالته. وهو في خطبه يجمع بين الترسل والازدواج في الجمل، أو السجع ، فينجح الى الارسال حيناً، والى الازدواج والسجع حيناً آخر، وينحو الى اسلوب الخطابة الدينية والوعظ ، ويكثر الاقتباس من القرآن الكريم يحسن به كلامه، او للاحتجاج لما يقول كما في خطبته هذه وهي في وصف الدنيا والتزهيد فيها وقد نظر اليها نظرة سوداء منكرة وافتن في تقييحها وغلب جانب الشر فيها على جانب الخير، فتشأم منها ما شاعت له هذه النظرة أن يتشأم ، وانتهى الى أن خير زادها التقوى، وكل ما عداها فإنه لا خير فيه، وتلمس في خطبه وشعره جذوة الحماسة، وحرارة العقيدة ، وقوة القلب والشجاعة النادرة والاستماتة في الكفاح في سبيل ما يعتقد وأدبه المتمثل بخطبه

(١) ينظر: الدكتور محمد طاهر دروش، الخطابة في صدر الاسلام، ج٢، ص ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

(٢) اقول لها : أي النفس ، والشعاع أي المتفرق وطارت شعاعاً صيغة مبالغة من الفرع وقوله لا

تراعي من الورع وهو الفرع

وشعره صورة صادقة لحياته وعقيدته وكفاحه ، فقد كان من الازارقة، وهم فرقة من الخوارج اتبعوا نافع بن الازرق<sup>(١)</sup>، وغالوا في مذهبهم، فلم يققوا عند حد تكفير المسلمين بل استحلوا قتل أطفالهم ونسائهم وسبيهن وبيعهن، وقتل العجزة ومن لم ييادئهم بحرب وحرموا منهم التزاوج والمؤاكلة والتوارث، وقالوا لا نقبل منهم الا الاسلام (يريدون اعتقاد مذهبهم) او السيف، ولا يرون مثل ذلك مع المشركين او الذميين وقد نزلوا اول الامر بالأهواز، ففتكوا بالأميين وقتلوا الاطفال، ثم تهددوا البصرة بالاغارة على سواها وكانت في ولاية الزبيريين، وجرت معارك شديدة بينهم وبين أهل البصرة وقتل فيها رئيسهم نافع بن الازرق، فاختاروا لهم عبيد الله ابن الماحوز<sup>(٢)</sup> خليفة فقتل على يد المهلب بن ابي صفرة، اذ استطاع اجلاءهم عن الأهواز<sup>(٣)</sup> فأمن أهل البصرة.

(١) نافع بن الازرق: هو نافع بن الازرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي. الحروري، أبو راشد من اهل البصرة، وهُوَ زعيم الازارقة خرج على الامام علي عليه السلام فهو من الخوارج قاتله المهلب بن أبي صفرة وقتل يوم دولا ب على مقربة من الاهواز سنة ٦٠هـ. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج٧، ص٦٥، و٦٦ و٧٦، الأشعري ، ابوالحسن علي بن اسماعيل ت٣٢٣هـ/٩٣٦م ، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق : هلموت ريتز ، اسطنبول، ١٩٢٩م. الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١، ص١١٨-١١٩ ، المبرد، الكامل في اللغة والادب ، ج٣، ص١٠٣١ ، ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج٤، ص٦٥-٦٦ .

(٢) عبيد الله بن الماحوز: هو عبيد الله بن بشير بن الماحوز السليطي اليربوعي التميمي ، رئيس الازارقة (الخوارج) في الاهواز، قتل في مكان يسمى سلى وسلبري سنة ٦٥هـ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج٥ ص١٠٠-١٠١ . ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ج٤ ص٧٦ .

(٣) الاهواز : كورة في بلاد فارس يجري فيها نهر كبير وكانت تسمى خوزستان في زمن الفرس يسمى دجيل الاهواز وهي جمع هوز بمعنى حوز، ينظر: اليعقوبي ، البلدان ، ص٨٢-٨٣ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج١ ص٣٣٨ .

ثم ارتفعوا الى كرمان<sup>(١)</sup> وجانب اصفهان<sup>(٢)</sup> وبياعوا على خلافتهم قطري بن الفجاءة ، فاستطاع قطري ان يشد من عزيمة اصحابه ، فقويت شكيمتهم ودوخ الدولة الأموية عشرين سنة ، وهو يطاول ويصاول بين كرفر ، وهي تبعت عليه بالجيوش بعد الجيوش ، واستولى على اجزاء كثيرة من بلاد فارس<sup>(٣)</sup> والاهواز وطبرستان<sup>(٤)</sup> والعراق<sup>(٥)</sup> إلا أن تولي المهلب وهو القائد المحنك الداهية، حاربهم، وكسر من شوكتهم فقد نهكهم بطول مصابرتة ولطف حيلته في القتال، حتى كانت نهاية خطرهم بنشوب الفتنة بينهم، فقاتل بعضهم بعضا وافترقوا على قطري، إلا فرقة صغيرة منهم تبعتة، وتعبهم المهلب مستفيدا مما صاروا اليه فكسرهم شركسرة ومزقهم وفرّ قطري بمن معه ، وتعبته جنود المهلب الى شعاب طبرستان، فقاتلوه هناك حتى تفرق عنه اصحابه ، وسقط عن دابته في أسفل وادٍ فقتل سنة ٧٩هـ

(١) كرمان : مدينة ايرانية يمنية بجستان توازي الجوزجان فيها نخل كثير ومياها قليلة افتتحت في زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه من قبل عبد الرحمن بن سمرة ، ينظر: اليعقوبي ، البلدان ص ١١٤ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج ٤ ص ٥١٥ .

(٢) اصفهان : لاصفهان مدينتان يقال لاحدهما جي والآخرى اليهودية واهلها اخرط من الناس عرب وعجم من الدهامتين وافتتحت ٢٣هـ وفيها مياه كثيرة واودية ، ينظر: اليعقوبي ، البلدان ، ص ٨٥ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج ٢ ص ٢٣٥ .

(٣) بلاد فارس : ولاية واسعة واقليم فسيح اول حدودها من جهة العراق ارجان ومن جهة كرمان السيرجان ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مكران وهي اسم بلد ، اليعقوبي ، البلدان ص ٢٢ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج ٤ ص ٢٥٦ .

(٤) طبرستان : هي بلد كثير الحصون منيع الاودية وطبر لقطه فارسية واستان الموضع او الناحية فهي ناحية الطبر وهي بلد المازيار موالى أمير المؤمنين ، ينظر: اليعقوبي ، البلدان ص ٩١ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج ٤ ص ١٤ .

(٥) العراق بلد مشهور سميت بذلك من عراق القرية وهي اسفل ارض العرب وقيل سمي عراقا لانه سفل عن نجد ودناض البحر وقيل العراق شاطيء البحر . اليعقوبي ، البلدان ص ١١ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج ٤ ص ١٠٥ .

وبمقتله اضمحل أمر الخوارج ، ولم يكن لهم من بعده شأن يذكر، ولا سيما في هذا الجانب من المملكة الاسلامية إلى نهاية الدولة الاموية وهذه الخطبة الطويلة كلها وعظ ، تحذير من الدنيا وذم لها ، وتزهيد فيها ودعوة إلى الاعتبار بأحوالها وما صار إليه اهلها ، ولولا ايمان قطري بما ذكر فيها ايمانا قويا ، وحماسة لهذه العقيدة ، ما رأيت عنده هذا الالاح الشديد في دعوته ، ولا ذلك النفس الطويل في خطبته. ولا هذا التركيز الواضح على هدفه، والتزامه فيها نهجا واحدا من القول له خصائص مشتركة بارزة، واسلوبا معينا له سمات مميزة، يعفينا<sup>(١)</sup> من طول التتبع لاجزائها وققراتها ويدعونا إلى اجمال الظواهر البيانية في هذه الخطبة. فقطري كما ذكرنا يخطب في ايمان وحماسة وصدق، وكأنه يسكب حرارة هذا الايمان في كلماته، ويصل روحه بعباراته، لذلك نرى أثر العاطفة الصادقة ظللا ضافيا من الاحسان في القول يبدو في تخير لفظه ، والعناية برصفه، عناية تبدو في السجع المقبول والازدواج الطلي، وتساوي الفواصل في كثير منها وتوفير ضروب من الايقاع الصوتي العذب، والتغيم الموسيقي المطرب وحسن عرضه للصور وجلائه للرسم المتحركة المتتابعة المعبرة، وكثرة رجوعه الى القرآن، واستشهاده بأياته، فكان من ذلك كله فن جميل وصناعة مقبولة وحذق ملموس، وبراعة واضحة، اضفت على الخطبة قوة وجمالا وتأثيرا، ولكننا قبل ان نمضي عن قطري الى سواه ننظر في مدى صحة انتساب هذه الخطبة اليه وهي الوحيدة التي بقيت له، ورويت عنه، ومع ذلك فإن ابن ابي الحديد<sup>(٢)</sup> في شرحه لنهج البلاغة يقول عنها (واعلم ان هذه الخطبة ذكرها شيخنا ابو عثمان الجاحظ<sup>(٣)</sup> في كتابه البيان والتبيين، ورواها لقطري بن الفجاءة والناس يروونها لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وقد رأيتها في كتاب الموفق لابي عبيد الله المرزباني مروية لامير المؤمنين عليه السلام وهي بكلام امير

(١) ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، جـ ١، ص ٢٢٣.

(٢) ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة جـ ٢ ص ١٢٢.

(٣) ينظر: الجاحظ ، البيان والتبيين جـ ١ ص ١٠٤.

المؤمنين أشبه وليس ببعيد عندي ان يكون قطري قد خطب بها، بعد ان اخذها عن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، فإن الخوارج كانوا اصحابه وانصاره، وقد لقي قطري اكثرهم.

وابن ابي الحديد يعتمد في حكمه هذا على أمور هي أن الناس يروون هذه الخطبة لعلي عليه السلام وليس هذا دليلاً ولا شبهة، لأن الرأي في هذه المسائل ليس للناس وقد دس على الامام علي رضي الله عنه كثير من الخطب والاقوال، ومع هذا فالناس يروون له، وأنه رأى هذه الخطبة في كتاب الموفق للمرزباني مروية لعلي، وهذا أيضاً لا يصلح دليلاً لان المرزباني ليس خيراً من سواه، ولو كان مجرد وجودها في الموفق منسوبة الى علي كرم الله وجهه دليلاً على انها خطبته، لكان وجودها في البيان والتبيين منسوبة لقطري دليلاً على انها خطبته، اما انه ليس ببعيد أن يكون قطري قد خطب بها بعد أن اخذها من أصحاب علي رضي الله عنه فكيف لا يكون بعيداً؟ وقطري خطيب بليغ، وليس هو من العجز والغفلة بحيث يسرق خطبة طويلة كاملة مشهورة لامام خطير مشهور، فيخطب بها انصاره ولا يعدم أن يكون بينهم من كان من انصار ذلك الامام ورجاله، والخوارج عامة معروفون بالفصاحة واللسن، والقدرة على الاحسان في القول وخطابتهم من أقوى وافصح ما عرف العرب من خطابة، وقطري نفسه من اخطبهم وافصحهم واسرعهم خاطراً، واحضرهم بديهة، ذلك فضلا عما هو معروف من العداوة والحرب بينهم وبين علي عليه السلام، وقد قتل كثيراً من زعمائهم ورجالهم فلا يسوغ في الاذهان ان يتزودوا بكلامه، ويجعلوه عدتهم في الشدائد والنضال، وأما قول ابن ابي الحديد ان هذه الخطبة بكلام امير المؤمنين اشبه فهو قول مقبول لانها تتفق في روحها مع ما عرف عن علي وقطري معا وهي في اخرها أشبه بعلي رضي الله عنه وروحه وكلامه فالذي يبدو هو انها ربما جمعت من خطب وأقوال مختلفة في مواطن عدة لهذا وذلك، ولا يبعد ان يحدث ذلك كما حدث في غيرها، مما أشرنا إلى بعضه في موضعه ففيها اطالة وتفصيل وتكرار للمعنى الواحد وعرض له في صور متعددة، وبالألفاظ تكاد تكون متشابهة وهي من الطول بدرجة تقل في الخطابة العربية وبخاصة ما كان متصلاً منها بأغراض حربية.

ولا شك في ان يد التحريف قد تناولت آثار الخوارج كما تناولت غيرها وان كان عدوان السياسة عليهم أشد من عدوانها على غيرهم فامتد الى آثارهم الادبية<sup>(١)</sup>، كما امتد وطغى على حياتهم، فأنا لا نجد لهؤلاء الخطباء المقاول الذين طالما هزوا اعداء المنابر، واتخذوا القول صناعة وبضاعة الاخطبا قليلة متفرقة، ذلك بان الخوارج لم تكن لهم دولة، ولا قامت لهم بعد القضاء عليهم اوائل القرن الثاني الهجري قائمة، ولم يكن لهم بعد ذهاب ريحهم أتباع، يجمعون ميراثهم الادبي، ويحفظون ما خلفوا للتأريخ، فتبدد، وحجب عن الناس أكثره، حتى سحب النسيان عليه أنيال الضياع. ولذلك فقد كانت الخطابة عند الخوارج سلاحا ماضيا لا يُقَل، وسبيل الدعوة الى عقيدتهم وآرائهم والدفاع عنها، تغذيتها العاطفة الملتهبة القوية، وتذكيها تلك القدرة البيانية، فأجادوها وارتفعوا بها، وأحسنوا فيها وقد اغرى هذا الاحساس والنجاح شعراءهم، فاتجهوا إلى الأساليب الخطابية والاحتجاج والجدل، والثورة والتقرير، ومجابهة الأحداث الطارئة، حتى كأن شعر بعضهم خطابة مرتجلة وساعدهم على هذا أنهم لم يكونوا في الغالب يحترفون الشعر، ولا يسابقون به غيرهم من الشعراء، ولكنهم كانوا يتخذونه لخدمة مذهبهم والدفاع عن قضيتهم لذلك جاء أكثره في صورة مقطوعات انشئت عند الحاجة اليها وقد تأثر الشعر بالخطابة عند الخوارج.

### خالد بن صفوان<sup>(٢)</sup>

#### نموذج من خطبه

نهض خالد بن صفوان عند عمر بن عبد العزيز مهنتا ومعزيا فقال (الحمد لله

(١) ينظر: الدكتور محمد طاهر دروش، الخطابة في صدر الاسلام، ج٢، ص ٣٧٩ و ٣٨٢.

(٢) خالد بن صفوان : هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الاهتم التميمي المنقري من فصحاء العرب المشهورين كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك وله معهما اخبار ولد بالبصرة وكان ايسر اهلها مالا ولم يتزوج له كلمات سائرة قيل له أي اخوانك احب اليك ؟ فقالا الذي يغفر زلي ويقبل علي ويسر خللي عاش الى ان ادرك خلافة ابو العباس السفاح ، وصفوان جمع صفوانة وهي الحجر الصلد الضخم وقد ورد لفظ صفوان في القرآن الكريم في قوله تعالى (يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمني والاذى كالذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثلة كمثل صفوان عليه تراب)، توفي سنة ١٣٣ هـ ، ينظر الجاحظ ، البيان والتبيين، ج ١ ص ٢٤ ، الزركلي ، الاعلام، ج ٢ ص ٣٣٨ .

الذي منَّ على الخلق بك، والحمد لله الذي جعل موتكم رحمة وخلافتكم عصمة ومصابكم اسوة وجعلكم قُدوة).<sup>(١)</sup>

ثم خطب يوماً عند أبي العباس السفاح<sup>(٢)</sup> فقال (وما عسى ان أقول لقوم كانوا بين ناسخ برد، ودابغ جلد، وسائس قرد، وراكب عرْد<sup>(٣)</sup> دلَّ عليهم هُدُهد، وغرقتهم فأرة ، وملكتهم امرأة)<sup>(٤)</sup> فلئن كان خالد قد فكر وتدبر هذا الكلام أنه للراوية الحافظ والمؤلف المجيد، ولئن كان هذا شيئاً حضره حين حُرِّك وبُسط فما له نظير في الدنيا، فهذا الخطاب يعتبر مليحاً مقبولاً وعظيم القدر جليلاً ولو خطب اليمانيُّ بلسان سحبان وائل حولاً كَرِيْتاً<sup>(٥)</sup>، ولذلك فخالد بن صفوان كان في خطبته أذكرَ الناس لأول كلامه وأحفظهم لكل شيء سلف من منطقته وهو في خطبته هذه رد على من كان يفخر عليه وهم من أحوال الخليفة أبو العباس السفاح. وفي خطبته الأولى يمدح الخليفة عمر بن عبد العزيز بعد أن حمد الله واثى عليه وكرر الحمد مرتين وقد اصاب واجاد وابدع.

**وهذا نموذج آخر لبعض خطبه** قال (كان والله بديع المنطق، دلِقَ الجرأة)<sup>(٦)</sup> جزل الالفاظ، عربي اللسان، ثابت العُقْدة، رقيق الحواشي، خفيف الشفتين، بليغ الريق،

(١) القيرواني ، زهر الاداب ، ج ٣ ص ٣٤٧، أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج ٣، ص ٣٤٨.

(٢) ابو العباس السفاح : هو ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس اول الخلفاء العباسيين بويغ بالخلافة سنة ١٣٢هـ وتوفي سنة ١٣٦هـ ، ينظر اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٤٣، الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٩، ص ١٥٤ ابن الاثير . الكامل ج ٥ ص ١٥٢.

(٣) ينظر: الجاحظ، كتاب الحيوان، ج ١ ص ١٥٢ ، ابن قتيبة ، عيون الاخبار ج ٣ ص ٧٣، ياقوت الحموي ،معجم البلدان ، ج ٨ ص ٥٢٤.

(٤) العرد بمعنى الحمار ذكره في القاموس ولم يرد في اللسان .

(٥) حولاً كَرِيْتاً بمعنى تام .

(٦) يقال سيف دلِق : أي سهل الخروج من غمده ، ودلق الجرأة أي مقدام . ينظر: أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٠٩.

رَحْبَ الشَّرْفِ، قَلِيلَ الحَرَكَاتِ، خَفِيَ الاِشَارَاتِ، حُلُوَ الشَّمَائِلِ، حَسَنَ الطَّلَاوَةِ<sup>(١)</sup>، حَيًّا جَرِيئًا، قُوُولًا صَمُوْتًا، يَفْلُ الحَزَّ<sup>(٢)</sup> وَيَصِيبُ المَفَاصِلَ، لَمْ يَكُنْ بِالمَعْدَرِ<sup>(٣)</sup> فِي مَنطِقِهِ، وَلَا بِالزَّمَنِ<sup>(٤)</sup> فِي مَرُوْتِهِ وَلَا بِالخَرَقِ<sup>(٥)</sup> فِي خَلْقَتِهِ، مَتَّبِعًا غَيْرَ تَابِعٍ، كَأَنَّهُ عَلِمَ<sup>(٦)</sup> فِي رَأْسِهِ نَارًا) وَهَذِهِ الخُطْبَةُ يَمْدَحُ خَالِدَ بِنِ صَفْوَانَ رَجُلًا فَوَصَفَهُ بِأوصَافٍ دَلَّتْ عَلَیْهَا كَوْنُهُ صَاحِبَ مَنطِقٍ فَالکَلَامُ یُخْرِجُ مِنْ لِسَانِهِ كَخُرُوجِ السَّیْفِ مِنْ غَمْدِهِ وَهَذَا فِي مَنتهی الدِّقَّةِ فِي الوَصْفِ وَالتَّشْبِیهِ وَهُوَ عَلَی قَدَرٍ کَبِیرٍ مِنْ جِزَالَةِ اللفظِ وَسَهُولَةِ وَفصیحَةِ الالفاظِ وَهِيَ مَنسَقَةٌ الافکارِ تَخَاطَبُ العَاطِفَةَ بِقَدْرِ مَا تَخَاطَبُ العَقْلَ، وَهُوَ صَاحِبُ مَرُوَّةٍ وَشِجَاعَةٍ، وَهَذَا مِنْ شَأْنِ رِجَالِ العَرَبِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، ثُمَّ شَبِیْهِ بِالجَبَلِ الَّذِي فِي رَأْسِهِ نَارٌ كَوْنَهُ مَعْلُومًا وَمَعْرُوفًا وَمَشْهُورًا وَقَدْ أوردَ الجَاحِظُ فِي کِتابِهِ البَیَانِ وَالتَّبیینِ انْ خَالِدًا کَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ<sup>(٧)</sup> وَقَالَتْ لَهُ انْکَ لَجَمیلٍ یَا ابا صَفْوَانَ قَالِ وَکِیفَ تَقُولِینَ هَذَا وَمَا فِي عَمُودِ الجَمالِ وَلَا رِداؤُهُ وَلَا بُرْنُسُهُ. فَقیلَ لَهُ: مَا عَمُودُ الجَمالِ فَقَالَ الطَّوْلُ، وَلَسْتُ بِطَویلٍ، وَرِداؤُهُ البِیاضُ وَلَسْتُ بِأَبیضٍ، وَبِرْنُسُهُ سِوَادُ الشَّعْرِ، وَأَنَا اشمَطُ وَلَکِن قُولِي: انْکَ لَمَلیحٌ ظَرِیفٌ. وَخَالِدٌ یَعِدُ فِي الصَّلْعانِ فِي حَینِ أوردَ الزَّرکَلِیُّ فِي کِتابِهِ الاِعلامِ انَّهُ غَیْرُ مَترَوجٍ<sup>(٨)</sup> وَکانَ مِنَ الاِثْرِیاءِ.

(١) حَسَنَ الطَّلَاوَةِ : أی بِمَعْنَى مَقْبُولٍ . یَنْظُرُ : م . ن ، ص ٣٩٧ .

(٢) الحَزَّ بِمَعْنَى القَطْعِ . یَنْظُرُ : م . ن ، ص ١٣٣ .

(٣) المَعْدَرُ بِمَعْنَى المَقْصَرِ . یَنْظُرُ : م . ن ، ص ٤٢٠ .

(٤) الزَّمَنُ بِمَعْنَى المَعِيبِ . م . ن ، ص ٢٧٥ .

(٥) الخَرَقُ بِمَعْنَى الَّذِي لَا یَحْسَنُ التَّصَرُّفَ بِالْأُمُورِ . یَنْظُرُ : م . ن ، ص ١٧٣ .

(٦) العِلْمُ بِمَعْنَى الجَبَلِ . یَنْظُرُ : م . ن ، ص ٤٥١ .

(٧) یَنْظُرُ : الجَاحِظُ ، البَیَانُ وَالتَّبیینُ ، ج ١ ص ٣٤٠ .

(٨) الزَّرکَلِیُّ ، الاِعلامُ ، ج ٢ ص ٣٣٨ .

## المبحث الثاني الخطابة والقصر

### القُصاص :

القُصاص جماعة من رجال الوعظ الديني وأشباههم، ولهم في خطاباتهم طابع غالب، فاسلوبهم يشبه الأسلوب الخطابي الوعظي، وقصصهم فرع من الوعظ الديني ما يلقى في المساجد، وميادين القتال، وقد عرفوا به، ورصدوا انفسهم له وكان اداة دينية وسياسية معا يخدم السياسة باسم الدين ويظلمها بدعوته، وقد رأينا كيف اقام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجالا يعضون ويقصون عند الحرب، وفي ميادين القتال، وبقي ذلك قائما حتى العصر الاموي، فأتسع نطاقه، واختص به بعضهم، والقصاص لون من الوعظ، يعتمد غالبا على القرآن وتفسيره والحديث والكلام فيه، واخبار السالفين وما تبعته من عبرة، والحث على النظر في ملكوت السموات والارض وما يتصل بذلك من التذكير بالله واوامره، والحث على الجهاد في سبيله، واجتناب محارمه، وما اعد الله لعباده في الدار الآخرة.

### من مشاهير القُصاص

#### الاوزاعي<sup>(١)</sup>

وكان الاوزاعي يقول في قصصه ووعظه (اتقوا الله معشر المسلمين، واقبلوا نصح الناصحين وعظة الواعظين، واعلموا ان هذا دين الله، فانظروا ما تصنعون وعمن تأخذون، وبمن تقتدون، ومن على دينكم تؤمنون)<sup>(٢)</sup> واسلوب الاوزاعي في

(١) الاوزاعي : هو ابو عمرو عبد الر حمن بن عمرو بن محمد الاوزاعي ،ولد في بلعبك سنة ٨٠هـ وقيل سنة ٩٣هـ امام اهل الشام في عصره في الفقه توفي سنة ١٥٧هـ (ينظر : ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ج ٦ ١٣٥-١٤٨ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ص ٣٠٠ - ٣٠٢ ، ، ابن العماد الحنبلي شذرات الذهب ، ج ١ ، ص ٢٤١ - ٢٤٢)

(٢) ينظر : الجاحظ، البيان والتبيين ، ج ١ ص ٢٤٧ ، ابن عساكر ، تهذيب تأريخ دمشق ، ج ٢ ص ١٩٩ . أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج ٢، ص ٥٠ رقم ٤٦ .

خطبته هذه التزم السجع ايغالا في طلب التأثير في السامعين، بما له من رنين وما فيه من جرس موسيقي وهو في قصصه يعتني بالتجويد والترصيع، وتتميق العبارة والتأنق البلاغي.

## الإمام الحسن البصري<sup>(١)</sup>

### نموذج من قصصه

من قصص الحسن البصري قوله وهو يقرأ (الهاكم التكاثر<sup>(٢)</sup>) الهاكم التكاثر<sup>(٣)</sup>. عمّ الهاكم؟ عن دار الخلود وجنة لا تبيد، هذا والله فضح القوم، وهتك السرّ وابدى العوار<sup>(٤)</sup>، تنفق مثل دينك في شهواتك سرفاً وتمنع في حق الله درهماً، ستعلم يا لُكع<sup>(٥)</sup>: الناس ثلاثة مؤمن وكافر ومنافق، فأما المؤمن فقد جمه الخوف وقومّه ذكر العرض، وأما الكافر فقد قمعه السيف وشرده الخوف، فأذعن بالجزية، وسمح بالضريبة وأما المنافق، ففي الحجرات والطرقات، يسرون غير ما يعلنون، ويضمرون غير ما يظهرون، فاعتبروا انكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة، وملك قتلت وليه ثم تمنى عليه جنته) وهذا نموذج آخر من قصصه (رحم الله رجلاً خلا بكتاب الله، فعرض عليه نفسه فإن وافقه حمد ربه، وسأله الزيادة من فضله، وان خالفه أعتب وأتاب، وراجع من قريب، رحم الله رجلاً وعظ اخاه وأهله فقال: يا أهلي:

(١) الحسن البصري: هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد تابعي، كان امام اهل البصرة في زمنه وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة سنة ٢١هـ وشبّ في كنف الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسكن البصرة وتوفي سنة ١١٠هـ / ٧٢٨م. ينظر: الاصبهاني، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ج٢، ص ١٣١. الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) ميزان الاعتدال في نقد الرجال تحقيق: محمد علي الجاوي، دار احياء الكتب العربية، (مصر، ١٩٦٣م) ج١، ص ٢٤٥.

(٢) سورة التكاثر آية رقم (١).

(٣) ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين ج ٣ ص ٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٧ ص ٢٤٦.

(٤) العوار بمعنى العيب.

(٥) اللكع: بمعنى اللئيم والاحمق.

صلاتكم صلواتكم، زكاتكم زكاتكم، جيرانكم جيرانكم، اخوانكم اخوانكم، مساكينكم، لعل الله يرحمكم فإن الله تبارك وتعالى اثنى على عبد من عباده فقال (وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا)<sup>(١)</sup> يا بن آدم. كيف تكون مسلما ولم يسلم منك جارك! وكيف تكون مؤمنا ولم يأمنك الناس)<sup>(٢)</sup> والحسن البصري في قصصه هذه يكثر من الترادف والتكرار لانه في مقام يحتاج لتقرير معانيه وآرائه في الاذهان وتثبيت دعوته ووعظه بالنفوس وهذا التكرار من شأنه ان يمنحه فرصة واسعة لحسن الايقاع، ويهيء له مجالا للتغيم واتساق الفواصل، مستعينا بالتجويد والتميق والسجع والازدواج، وتقصير الجمل، وسهولة العبارة فيها يتهيا حسن الادراك للمراد وهي في الوعظ والقصص ألزم منها في سواها وفي قصصه التجاء الى التصوير والتأثير بالقرآن الكريم.

### عبيد الله المرّي الشيعي

#### نموذج من قصصه

كان عبيد الله بن عبد الله المرّي من دعاة المضر زمن سليمان بن صرد<sup>(٣)</sup> ونهضة التوابين، وكان من ابلغ الناس عظة ومنطقا، فإذا ما اجتمعت اليه جماعة من الناس وعظهم، وقال (اما بعد. فإن الله اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم على خلقه بنبوته وخصه بالفضل كله، واعزكم بأتباعه، وأكرمكم بالايمان به، فحقن به دماءكم المسفوكه، وآمن به سبلكم المخوفة، ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها،

(١) سورة مريم آية رقم (٥٥) .

(٢) ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣ ص ٣٠ .

(٣) سليمان بن صرد : سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون عبد العزى بن منقذ السلولي الخزاعي أبو مطرف ولد سنة ٢٨ ق هـ، صحابي من الزعماء القادة شهد الجمل وصفين مع علي عليه السلام وسكن الكوفة وترأس التوابين قتل بعين الوردية بعد ان دارت معارك بينه وبين عبيد الله بن زياد قتله يزيد بن الحسين سنة ٦٥هـ/٦٨٤م. ينظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤، ص ٢٦٩. الذهبي تاريخ الاسلام ج ٣ ص ١٧٥، حاجي خليفة، هدية العارفين، ج ١ ص ٤٠٤

كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون<sup>(١)</sup> فهل خلق ربكم في الاولين والآخرين اعظم حقا على هذه الامة من نبيها؟ وهل ذرية أحد من النبيين والمرسلين أو غيرهم اعظم حقا على هذه الامة من ذرية رسولها؟ لا والله، ما كان ولا يكون، الله انتم! ألم تروا ويبلغكم ما اجترم الى ابن بنت نبيكم! أما رأيتم الى انتهاك القوم حرمة، واستضعافهم وحدته، وتزميلهم اياه بالدم، وتجرارهم له على الارض! لم يراقبوا فيه ربهم، ولا قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم، اتخذوه للنبل غرضاً، وغادروه للضباع جَزْراً<sup>(٢)</sup> قلله عيناً من رأى مثله! والله حسين بن علي! ماذا غادروا به ذا صدق وصبر، وذا أمانة ونجدة وحزم، ابن اول المسلمين اسلاماً، وابن بنت رسول رب العالمين قَلَّتْ حماته، وكثرت عداته حوله، فقتله عدوه، وخذله وإيئه، فويل للقاتل، وملامة للخاذل، ان الله لم يجعل لقاتله حجة، ولا لخاذله معذرة، الا ان يُنصَحَ لله في التوبة، فيجاهد القاتلين، وينابذ القاسطين<sup>(٣)</sup> فعسى الله عند ذلك ان يقبل التوبة ويُقْبَلَ العثرة انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه، والطلب بدماء أهل بيته والى جهاد الملحدين والمارقين، فأن قُتِلنا فما عند الله خير للابرار، وان ظهرنا رددنا هذا الامر الى اهل بيت نبينا<sup>(٤)</sup> ان اسلوب<sup>(٥)</sup> عبيد الله المري في خطبته هذه هو احتماء السياسة بالدين واعتصامها بالوعظ والقصص في استنهاض الهمم للقتال وهو يدعو الى الاخذ بثأر الحسين بن علي رضي الله عنهما أما من حيث اسلوبه في قصصه هذه فهو التكرار والترادف والسجع والازدواج مع استشارة عاطفة المحبة لآل البيت والاجلال للنبوته، واستنهاض الحمية الدينية، وهكذا نرى من خلال النماذج لقصص بعض المشاهير الذين اشتهروا بهذا الاسلوب الخطابي بأن هذه القصص ما هي الا خطابة وعظية ووسيلة دينية وسياسية.

(١) سورة آل عمران من الآية رقم (١٠٣) .

(٢) جزرا ! أي بمعنى قطعاً . ينظر: أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ص ص ١٠٢-١٠٣ .

(٣) ينابذ القاسطين : أي يقاتل الظالمين الجائرين . ينظر: م . ن، ص ٦٤٢ .

(٤) ينظر: أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ج ٢ ص ٦٣ رقم ٥٠ .

(٥) ينظر: الدكتور محمد طاهر دروش، الخطابة في صدر الاسلام، ج ٢، ص ص ٤٢٥-٤٢٧ .